

مقدمة المؤلف

كتبتُ هذا الكتاب على ثلاث مراحل ، كانت الأولى عبارة عن بحث قدمته في مؤتمر بمدينة اسطنبول (ديسمبر ١٩٨٩) حول علاقات تركيا بدول المجموعة الأوروبية ، وكان ذلك عقب سقوط حائط برلين مباشرة، وقد ركزت على تحليل التغيرات الثقافية والأزمة التي تفاقمت من جراء تلك التغيرات . وعرضت خمس نقاط جدلية رئيسية هي :

١- إن انهيار الكتلة الاشتراكية يعتبر مؤشراً على وجود أزمة حضارية شاملة بما سيعقبها من تداعيات مختلفة ، ولكن هذا الانهيار لا يعتبر انتصاراً نهائياً للرأسمالية الغربية .

٢- إن فكرة الاندماج الأوروبي هي محاولة لإحياء تقليد قديم متأصل في الحضارة الغربية يستهدف استرداد مركز الحضارة إلى يد أوروبا مرة أخرى .

٣- إن العوامل الحضارية والخلفيات التاريخية ستكون هي الأكثر حسماً من العوامل الاقتصادية في تحديد موقف دول المجموعة الأوروبية من طلب تركيا الحصول على عضوية كاملة بالاتحاد الأوروبي .

٤- إن الزعماء الأوروبيين المقتنعين تماماً بمركزية الحضارة الأوربية وتفوقها الكاسح غير مستعدين لأن يروا دولة مسلمة داخل أوروبا .

٥- هذا الوهم القائم على التمرکز حول الذات لدى الرجل الغربى - وكما وصفه أرنولد توينبى - هو العقبة الكبرى أمام تعددية العيش المشترك فى أوروبا .

أما المرحلة الثانية لكتابة هذا الكتاب فقد كانت عام ١٩٩١ ، وفيها قمت بتحليل الخلفية الفلسفية والعواقب السياسية لتلك التحولات الحضارية عبر مقارنة بنوية بين

الحضارتين الغربية والإسلامية . وجاء هذا التحليل فى بحث قدمته للمؤتمر السنوى الثالث والعشرين لجمعية الدراسات الدولية تحت عنوان : «أبعاد جديدة فى العلاقات الدولية» ، والذى عقد فى فانكوفر (ألمانيا) فى الفترة ما بين ٢٠ - ٢٣ مارس ١٩٩١ . وكانت الافتراضات التالية محوراً لهذا البحث الذى قدمته مباشرة بعد أن تزعمت الولايات المتحدة الأمريكية تحالف المتصيرين إبان حرب الخليج . وهذه الافتراضات هى :

أولاً : إن نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما والتي تؤكد انتصار الديمقراطية الليبرالية غير المشروط واعتباره المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الأيديولوجى الإنسانى ، تلك النظرية - التي لا تتعدى حيز التكهن - دعمت القوى المهيمنة بما تحتاجه من مبررات نظرية لإعادة هيكلة النظام العالمى .

ثانياً : إن التفاؤل المستقبلى بشأن مفهوم النظام العالمى الجديد فى حقبة ما بعد الحرب الباردة ، لا يعكس بالضرورة الحقائق السياسية فى العلاقات الدولية .

ثالثاً : إن نشوء قوى سياسية حقيقية مستندة إلى هويات حضارية ، سوف يقود إلى خلق «توازن» فى هيكل القوة فى منطقة أوراسيا ، الأمر الذى سوف يتمخض بدوره عن عداءات واضطرابات سياسية بدلاً من بناء نظام سياسى عالمى فعال .

رابعاً : إن إعادة إحياء الهوية الإسلامية هو صيغة أخرى من صيغ التحولات الحضارية ، ويمكن أن يقدم بديلاً حضارياً متكاملأ باستطاعته أن يتحدى الحضارة الغربية بدلاً من أن يكون مصدر تهديد سياسى لها .

وقد أكدت الأحداث السياسية التي وقعت فى مطلع التسعينيات من القرن الماضى بشكل لا يقبل الجدل صحة التكهنات التي وردت فى البحثين اللذين أشرت إليهما . حيث أخذ بريق نظرية «التفاؤل بالمستقبل» يخبو ، وبخاصة خلال فترة ما بعد الحرب فى البوسنية ، حينما تم تدمير التراث والهوية الإسلامية فى قلب القارة الأوروبية باستخدام أساليب بربرية من التطهير العرقى ، مما برهن على تفاقم الاختلالات التي ينوء بها النظام العالمى ، تلك الاختلالات التي اجترحتها يد الحضارة الغربية . وأثبت السكوت والسلبية إزاء الانتهاكات الصربية لحقوق مسلمى البوسنة أن الحضارة الغربية قد قلبت ظهر المجن لإقامة تعايش سلمى مع الثقافات والحضارات الأخرى . هذا إلى جانب

الصراعات الداخلية فيما بين الأنظمة الحاكمة التي أدت إلى تأجيج الصراعات السياسية وتردى الأوضاع فى كثير من المناطق الجيوسياسية الحساسة .

وانطلاقاً من أهمية البحثين المذكورين ، قمت بإعادة صياغتهما كفصول لهذا الكتاب ، وكانت هذه هى المرحلة الثالثة لإعداده . وبالرغم من أن هذا الكتاب كان معداً للنشر منذ نوفمبر سنة ١٩٩٢ فقد تم تأجيل نشره نظراً لأولوية بعض الأعمال الأخرى .

بدأتُ الفصل الأول من هذا الكتاب بمراجعة نقدية لنظريات «النهاية» ، والتي تنادى بنهاية الدين والأيدولوجية والتاريخ . وكان هدفى من هذه المراجعة النقدية هو شرح المفاهيم الخاطئة التي يقوم عليها النموذج الحدائى فيما يتعلق بمستقبل الإنسانية . ثم انتقلت فى الفصل الثانى إلى مسح للأزمة الحضارية ، وذلك على نحو يرسم إطاراً نظرياً للفكرة الرئيسية لهذا الكتاب ، وهى أن انهيار الاشتراكية يعد مؤشراً على وجود أزمة حضارية شاملة وما يستتبعها من تحولات بالغة الأثر . أما الفصل الثالث فيلقى الضوء على محاولات إعادة هيكلة الثوابت الفلسفية للنموذج الغربى بهدف التغلب على تلك الأزمة الحضارية . ويناقش الفصل الرابع العواقب السياسية لتلك التحولات الحضارية بشكل مفصل .

أما فى بقية فصول الكتاب فقد قمت بتحليل موقف العالم الإسلامى تجاه تلك التحولات . فالفصل الخامس يناقش الأسس والثوابت النظرية لردة فعل العالم الإسلامى تجاه الأزمة الحضارية القائمة ، فى الوقت الذى يناقش فيه الفصل السادس الإشكالية الفكرية والبنىوية فى العالم الإسلامى ، والتي تحول دون صياغة نظام حضارى جديد . كما يلقى الفصل السابع الضوء على التوترات والتحديات السياسية فيما بين مراكز القوى فى النظام العالمى ودور العالم الإسلامى كطرف فى الإشكاليات الحضارية ثنائية البعد . وينتهى الكتاب بملاحظات ختامية فى الفصل الثامن .

وفى النهاية أود أن أعبر عن شكرى وامتنانى العميقين لمسئولى جامعة ماليزيا الإسلامية العالمية وفى مقدمتهم الدكتور عبد الحميد أبو سليمان ، و الدكتور كمال حسن والأستاذ الدكتور أنيس أحمد ، وذلك لدعمهم ومساندتهم لى فى تقديم البحث الثانى خلال المؤتمر السنوى لجمعية الدراسات الدولية . أود أيضاً أن أقدم جزيل الشكر إلى